

المبحث الحادي عشر: الحوض. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معناه، والدليل عليه:

الحوض في اللغة: مجمع الماء، وجمعه: حياض وأحواض^(١).

وهو في الاصطلاح: حوضٌ للنبي ﷺ في عرصات القيامة، فيه ماءٌ نازل من الكوثر. جعله الله إكراماً لنبينا ﷺ، وغياثاً لأُمَّته.

ودل عليه السنة المتواترة، وأجمع عليه أهل السنة.

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»^(٢).

المطلب الثاني: صفته:

طوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، فيه ميزابان يمدّانه من الجنة: أحدهما من ذهب، والثاني من فضة، يرده المؤمنون من أمة محمد، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

وكل هذه الأوصاف ثابتة في الصحيحين أو أحدهما.

عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضٌ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»^(٣).

(١) ينظر: «الصحيح» (٣/١٠٧٣)، مادة «حيض».

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٨٣، و٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠-٢٢٩١).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

وفي رواية لمسلم: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَيْضٌ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ...»^(١). ومعنى «زَوَايَاهُ سَوَاءٌ»، أي: عرضُه كطوله.

وهو موجود الآن؛ لقوله ﷺ: «وَلِيَّي - وَاللَّهِ - لَا نُظَرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ»^(٢).

واستمداده من الكوثر لقوله ﷺ: «وَأَعْطَانِي الْكَوْثَرَ فَهُوَ نَهْرٌ مِنَ الْجَنَّةِ يَسِيلُ

فِي حَوْضِي»^(٣).

ولكل نبي حوض، ولكن حوض النبي ﷺ أكبرها وأعظمها وأكثرها واردة؛ لما روى الحسن البصري عن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِيَّاهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةٌ، وَلِيَّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧-٢٢٩٢).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣٤٤) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٢٩٦)، من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد في المسند (٢٣٣٣٦)، بإسناد فيه ابن لهيعة، وللکوثر شواهد صحيحة.

(٤) إسناده صحيح إلى الحسن، واختلف في رفعه وإرساله: أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، وقال: هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا، ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح. لكن الحديث صححه جماعة من أهل العلم، وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةَ» (١٥٨٩): «وجملة القول إنَّ الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح، والله أعلم».

وليحذر العبد من الزيغ عن طريق الاستقامة؛ فهذا من أسباب الحرمان من ورود الحوض. فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لِيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ! أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالُ: (إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ)، فَأَقُولُ: سُخْقًا سُخْقًا»^(١).

المبحث الثاني عشر: الصراط:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الصراط، وأدلتها:

الصراط في اللغة: الطريق^(٢).

وهو في الاصطلاح: الجسر الممدود على جهنم ليَعْبُرَ الناس عليه إلى الجنة. وهو ثابت بالكتاب، والسنة.

قال الله - تعالى - : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فسرها عبد الله

بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وجماعة من السلف بالمرور على الصراط^(٣).

وقال النبي ﷺ: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(٤).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣٦، و٢٣٦٧)، ومسلم (٢٤٩) واللفظ له.

(٢) ينظر: «الصحاح» (١١٣٩/٣)، مادة «صرط».

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٥٩٥ / ١٥)، وما بعدها.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٥٨١) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٨٣)، من

حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو حديث طويل سيتكرر الاستشهاد بأجزاء منه مرارا.

واتفق أهل السنة على إثباته.

المطلب الثاني: صفة الصراط:

١ - الصراط زلق: وسيأتي دليله.

٢ - للصراط حافتان فيها كلاليب معلقة.

كما في قول النبي ﷺ: «وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيبٌ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ»^(١).

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «... ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي وَجَهَنَّمَ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَتَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا...»^(٢).

قوله ﷺ: «مَدْحَضَةٌ»: مِنْ دَحَضْتُ رِجْلَهُ دَحْضًا، إِذَا زَلَقَتْ. وَ«مَزَلَّةٌ»: مَنْ زَلَّتِ الْأَقْدَامُ، إِذَا سَقَطَتْ.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٥)، من حديث أبي هريرة وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) تقدم تخريجه.

وقوله ﷺ: «خَطَاطِيفٌ وَكَالَالِيْبُ»: «خَطَاطِيفٌ»: جمع خُطَافٍ (بالضم)، وهو: الحديدة المعوجة - كالكلوب - يختطف بها الشيء. و«كَالَالِيْبُ»: جمع كَلُوبٍ (بفتح الكاف وتشديد اللام المضمومة)، وهو: حديدة معطوفة الرأس. وقوله ﷺ: «حَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ هَا شَوْكَةٌ عُقِيْفَاءُ»: الحسكة: نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم. و«مُفْلَطَحَةٌ»: عريضة. و«عُقِيْفَاءُ»: معوجة.

٣- الصراط مثل حد السيف، وأدق من الشعر:

جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَخُضٌ مَزَلَّةٌ»^(١). وقال أبو سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «بَلَّغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ»^(٢).

المطلب الثالث: عبور الصراط:

عبور الصراط لغير المشركين، أما المشركون والكفار فتتبع كل أمة ما كانت تعبد من آلهة باطلة، فتسير تلك الآلهة بالعابدين، حتى تهوي بهم في النار، ثم يبقى بعد ذلك المؤمنون وفيهم المنافقون، وعصاة المؤمنين، وهؤلاء هم الذين ينصب لهم الصراط.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٤٢٤)، والروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٨)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأصله في الصحيحين.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، بعد حديث رقم (١٨٣).

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «... إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَدْنَى مُؤَدَّنٌ لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - مِنْ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ... ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ...»^(١).

يتفاوت الناس في المرور على الصراط، ويكون ذلك بحسب أعمالهم:

١ - فيعطى كلُّ إنسان نورا بحسب عمله، يتبعه على الصراط، ويبقى نور المؤمن يقوده وينجوه به.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «... وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ - مُنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا - نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَاللَّيْلِ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ...»^(٢).

٢ - تكون سرعة المرور على الصراط بحسب العمل.

كما في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السَّابِقُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الصَّرَاطَ، قَالَ: «فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمُخْذَوِّشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(٣).

وأفاد الحديث أن نتيجة المرور على الصراط إحدى ثلاث:

أ- الناجي بلا خدش: وذكره بقوله: «نَاجٍ مُسَلِّمٌ».

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩١).

(٣) تقدم تخريجه.

ب- الهالك من أول وهلة: وذكره ﷺ بألفاظ مختلفة كقوله: «مُكَرَّدَسٍ فِي النَّارِ»^(١)، و«مَنْكُوسٌ فِيهَا»^(٢)، و«مَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

وهم المنافقون الذين يعطيهم الله - تعالى - نورا فينطلقون على الصراط، ثم يطفأ نورهم فيسقطون في النار، وكذلك عصاة الموحدين الذين قضى الله عليهم عذاب جهنم.

ت- المتوسط بينهما، يصاب ثم ينجو: وقد ذكره ﷺ بألفاظ مختلفة كقوله هنا: «مَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ».

وهذا الصنف هم الذين اجترحوا السيئات، فتخطفهم الكلايب، فتجرح أجسادهم، ثم ينجون بفضل رحمة الله ثم بما قدموه من طاعات في الحياة الدنيا. وبالإجمال فالناس بعد مرور الصراط صنفان:

الأول: ناج من السقوط. وهؤلاء نوعان: سالم من خدش الكلايب، ومخدوشون.

الثاني: ساقط مطروح في جهنم.

وقال ﷺ في حديث آخر: «فَيَمُرُّ أَوْلُكُم كَالْبَرْقِ -»، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرِ، وَشَدَّ الرَّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَيَبْيِكُمُ

(١) أخرجه البزار في مسنده (٢٨٤٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في مسنده (٤٢٨٠).

قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ، يَقُولُ: رَبِّ، سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»^(١).

وأول من يجوز الصراط محمد ﷺ، ومن الأمم أمته:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «... وَيَضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَآمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرَّسُلُ، وَدَعَا الرَّسُلُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(٢).

المطلب الرابع: القنطرة:

القنطرة هي الجسر، وجمعها: قناطر^(٣).

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُخَبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(٤).

فهي جسر بين الجنة والنار، يكون للمؤمنين بعد جواز الصراط، يهذبون وينقون من المظالم التي عليهم حتى يدخلوا الجنة أنقياء.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٥)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٤٣٧) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٨٢).

(٣) ينظر: «الصحاح» (٧٩٦ / ٢)، مادة «قنطر».

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٣٥).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «الذي يظهر أنها طرف الصراط مما يلي الجنة، ويحتمل أن تكون من غيره بين الصراط والجنة»^(١).

المبحث الثالث عشر: الجنة والنار:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معناهما، ووجودهما.

الجنة لغة: البستان الكثير الأشجار^(٢). وشرعا: الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين.

والنار لغة: معروفة. وشرعا: الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين. وهما مخلوقتان الآن؛ لقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وفي النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، والإعداد التهيئة، وقال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]. ولقوله ﷺ حين صلى صلاة الكسوف: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا، وَكَلِمَاتُهَا لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ»^(٣). والجنة والنار أديتان لا تفنيان:

(١) «فتح الباري» (٩٦/٥).

(٢) ينظر: «مقاييس اللغة» (٤٢١ / ١).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٠٥٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٩٠٧).

والآيات في تأييد الخلود في الجنة كثيرة، كقوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ
عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٨]، وأما في النار
فذكر في ثلاثة مواضع :

الأول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا ۝١٣٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٨-١٦٩].

الثاني: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾
[الأحزاب: ٦٤-٦٥].

الثالث: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾
[الجن: ٢٣].

المطلب الثاني: مكان الجنة والنار:

الجنة في أعلى عليين في السماء السابعة؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ
لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨].

وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور في قصة فتنة القبر:
«يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ»^(١).

والنار في أسفل سافلين في الأرض السفلى؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينَ﴾ [المطففين: ٧]، أي مصير الفُجَّارِ ومأواهم.

(١) تقدم تخريجه.

وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب السابق: «يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - :
اَكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى»^(١).

المطلب الثالث: أهل الجنة وأهل النار:

أهل الجنة كل مؤمن تقي؛ لأنهم أولياء الله، قال الله - تعالى - في الجنة:
﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

وأهل النار: كل كافر شقي، قال الله - تعالى - في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾
[البقرة: ٢٤]، وقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِى النَّارِ﴾ [هود: ١٠٦].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «أَطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ
أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَأَطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»^(٢).
ومن فضل الله - تعالى - أن أكثر أهل الجنة من هذه الأمة؛ فعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ
الْأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ»^(٣).

المطلب الرابع: ذبح الموت:

(١) تقدم تخرجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٩) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٧٣٧)، واللفظ له.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩)، وأحمد (٢٢٩٤٠)،

وصححه الألباني.

الموت زوال الحياة. وكل نفس ذائقة الموت، وهو أمر معنوي غير محسوس بالرؤية، ولكن الله - تعالى - يجعله شيئاً مرئياً مجسماً ويذبح بين الجنة والنار، ويكون ذلك بعد استقرار أهل الجنة في الجنة، واستقرار أهل النار في النار.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ، فَيَنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَسْرِعُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدَرَاهُ، ثُمَّ يَنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَسْرِعُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدَرَاهُ، فَيَذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ ، وَهُؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] (١).



(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٣٠) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٨٤٩).

المقطع التاسع

بعض حقوق النبي ﷺ، وخصائصه

قال الشيخ رحمه الله:

«وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِهِ، وَلَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الْقِيَامَةِ، إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أُمَّةٌ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ أُمَّتِهِ.

صَاحِبُ لِيَاقِ الْحَمْدِ، وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ. وَهُوَ إِمَامُ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيبُهُمْ، وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ، أُمَّتُهُ خَيْرُ الْأُمَّةِ».

الشرح:

أفضل الخلق عند الله: الرسل، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون، وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

وأفضل الرُّسُل أولو العزم منهم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - عليهم الصلاة والتسليم - . وأفضلهم محمد ﷺ؛ لقوله ﷺ: «أنا سيّد النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وقد أشار المؤلّف في هذا المقطع إلى بعض خصائص النبي ﷺ، وحقوقه. ولعلنا نتكلم عنها باختصار في هذين البحثين:

المبحث الأول: خصائص النبي ﷺ:

خصائص النبي ﷺ هي: ما اختصه الله - عز وجل - وتفرد به عن سائر الأنبياء والخلق.

وهي نوعان - باعتبار زمانها - : خصائص في الدنيا، وخصائص في الآخرة. ونوعان - باعتبار من اختصّ دونه - : خصائص دون الأنبياء، وخصائص دون سائر أمته.

ونذكر ما تطرق له المؤلّف:

• أولاً: خاتم النبيين:

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧١٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ختم الله به النبوة والرسالة، بدلالة الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ! قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»^(١).

• **ثانيا: سيد المرسلين:**

لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

• **ثالثا: لا يقضى بين الناس إلا بشفاعته:**

وسبق دليل ذلك في حديث الشفاعة الطويل.

• **رابعا: سَبَقُ أُمَّتِهِ الْأُمَّمَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ:**

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم تخريجه.

لقوله ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

• **خامسا: صاحب لواء الحمد:**

فهو ﷺ أحمد الناس لرّبّه، ومن أسماؤه: محمد وأحمد، وسبق في حديث الشفاعة الطويل: «فَأْتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ -، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي»^(٢).

وأصل اللواء: الراية التي يحملها قائد الجيش ونحوه.

ودلّ عليه: حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا سَيِّدٌ وَلَدَ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَيَيْدِي لِوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ»^(٣).

وللعلماء في هذا اللواء قولان:

الأول: أنه لواء معنوي، يراد به الشهرة وانفراده بالحمد العظيم على رؤوس الخلائق.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٨٧٦) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٨٥٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه الألباني.

والثاني: أنه لواء حقيقي؛ لظاهر اللفظ.

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «حَمَلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ عَلَى مَعْنَاهِ الْحَقِيقِيِّ هُوَ الظَّاهِرُ بَلْ هُوَ الْمُتَعَيَّنُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُصَارُ إِلَى الْمَجَازِ مَعَ إِمْكَانِ الْحَقِيقَةِ»^(١).

● **سادسا: صاحب المقام المحمود:**

أي: العمل الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق.

قال تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه ﷺ يوم القيامة من الشفاعة وغيرها.

فعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًّا»^(٢)، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فَلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُ اللهُ الْمُقَامَ الْمَحْمُودَ»^(٣).

● **سابعا: صاحب الخوض المورود:**

(١) «تحفة الأحوذى» (٨ / ٤٦٥).

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية» (١ / ٢٣٩): «أي: جماعة، وتروى هذه اللفظة (جُثِّيَّ) بتشديد الياء: جمع جاثٍ، وهو الذي يجلس على ركبته».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧١٨).

وسبق بيان الحوض ودليله، والمراد بكون الحوض من خصائص النبي ﷺ: الحوض الكبير الكثير واردوه، أما مجرد الحياض فقد مرَّ أن لكل نبي حوضًا.

• ثامنا: إمام النبيين:

• تاسعا: خطيب الأنبياء:

• عاشرا: صاحب شفاعتهم:

لحديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِيمَامَ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيبَهُمْ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ، غَيْرُ فَخْرٍ»^(١).

فأما إمامته ﷺ للأنبياء في الدنيا فوَقَّعت حين أمَّهم ليلة الإسراء والمعراج، وتظهر إمامته لهم في الآخرة حين يتدافع أولو العزم من الرسل الشفاعة في الموقف العظيم، ثم تصير إليه ﷺ فيشفع.

• الحادي عشر: أمته خير الأمم:

لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) حسن: أخرجه الترمذي بعد الحديث رقم (٣٦١٣)، وابن ماجه (٤٣١٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وحسنه الألباني.

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «جُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ»^(١).

وأما قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧، و ١٢٢]، فالمراد عالمو زمانهم.

المبحث الثاني: حقوق النبي ﷺ:

أشار في المقطع السابق إلى شيء من حقوق النبي ﷺ بقوله: «لَا يَصِحُّ إِيمَانٌ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَشْهَدَ بِنَبْوَتِهِ».

ودليل ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٢).

ومن حقوقه ﷺ:

• أولاً: وجوب طاعته ﷺ، والحذر من معصيته:

(١) حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٦٤٧)، وأحمد في مسنده (٧٦٣)، وحسنه محققو المسند.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٣).

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].
وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ،
وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ»^(١).

● **ثانيا: محبته ﷺ:**

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ
إِلَيْهِ مِنْ: وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٢).

● **ثالثا: وجوب التحاكم إليه، والرضا بحكمه ﷺ:**

والإيمان بأن هديَه أكمل الهدي، وشريعته أكمل الشرائع، وأن لا يُقدَّم عليها
تشريعا أو نظاما مهما كان مصدره.

قال الله - تعالى - : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

● **رابعا: نشر دعوته وسنته ﷺ:**

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

قال النبي ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١).

وعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نَضَّرَ اللَّهُ
امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ،
وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ لَيْسَ بِفِقْهِهِ»^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠)، وصححه الألباني.

المقطع العاشر

فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

قال الشيخ رحمه الله:

«وَأَصْحَابُهُ خَيْرُ أَصْحَابِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -، وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؛ لِمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ: «أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. فَيَبْلُغُ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ»^(١).

وَصَحَّتِ الرَّوَايَةُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الثَّلَاثَ»^(٢).

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٥٧)، وأصله عند البخاري (٣٦٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٥٤٨).

وَرَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غُرِبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، عَلِيٌّ أَفْضَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

وَهُوَ أَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِفَضْلِهِ، وَسَابِقَتِهِ، وَتَقْدِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَى تَقْدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ.

ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِفَضْلِهِ وَعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِ.

ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِتَقْدِيمِ أَهْلِ الشُّورَى لَهُ.

ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِفَضْلِهِ، وَإِجْمَاعِ أَهْلِ عَصْرِهِ عَلَيْهِ.

وَهُؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(٢).

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/٣٢٥).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه

الألباني.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْخِلاَفَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً» (١)، فَكَانَ آخِرُهَا خِلاَفَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

الشرح:

هذا المقطع في فضل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والكلام عليه في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الصحابي:

الصحابي: من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به، ومات على ذلك (٢).

المبحث الثاني: فضل الصحابة:

وردت نصوص كثيرة في فضائلهم، منها:

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ هَاجِرِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْبِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (٣).

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦)، وصححه الألباني.

(٢) ينظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٧ / ١) وما بعده.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٦٥٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٥٣٣).

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لَا تُسْبُوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»^(١).

المبحث الثالث: أفضل الصحابة:

هناك مفاضلة عامة كأهل بدر، والمهاجرون أفضل من الأنصار، ومن أنفق وقاتل قبل صلح الحديبية، أفضل ممن أنفق وقاتل بعد الصلح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

لكن على وجه الخصوص أفضل الصحابة: الخلفاء الأربعة؛ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

ودلَّ على ذلك حديثُ العُرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: صَلَّى بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بليغةً ذرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ لِيْنَا؟ فَقَالَ «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بِعِدِّي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

(٢) تقدم تخرجه.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ: أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عَثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يُنْكَرُهُ» (١).

• أولاً: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هو: الصِّدِّيقُ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، مِنْ بَنِي تَيْمٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ. أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرِّجَالِ، وَصَاحِبُهُ فِي الْهَجْرَةِ، وَنَائِبُهُ فِي الصَّلَاةِ وَالْحُجِّ، وَخَلِيفَتُهُ فِي أُمَّتِهِ.

أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة: عثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، توفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، عن ثلاث وستين سنة.

ومن فضائله:

قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾

[التوبة: ٤٠]، والمراد بصاحبه: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسأل عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ

إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا» (٢).

(١) تقدم تخرجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَمَنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خُلَّةَ الْإِسْلَامِ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ^(١) إِلَّا خَوْخَةٌ أَبِي بَكْرٍ»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

ياسائلي عن مذهبي وعقيدي

رُزِقَ الهُدَى مَنْ للهداية يسألُ

اسمع كلام مُحَقِّقٍ في قوله

لا ينشئني عنه ولا يتبدلُ

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لي مذهب

ومودةُ القربى بها أتوسلُ

ولِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وفضل ساطع

لكننا الصديق منهم أفضلُ^(٣)

• ثانيا: عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(١) الخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٩٠٤) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٣٨٢).

(٣) لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، الأبيات (١-٤).

هو: الفاروق أبو حفص عمر بن الخطاب، من بني عدي بن كعب بن لؤي، أسلم في السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، ففرح المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده.

استخلفه أبو بكر على الأمة؛ فقام بأعباء الخلافة خير قيام إلى أن قُتل شهيدا في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، عن ثلاث وستين سنة.

ومن فضائله:

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ». قالوا: فَمَا أَوْلَتْ ذَلِكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّين»^(١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يُخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» قالوا: فَمَا أَوْلَتْهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْعِلْم»^(٢).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٣) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٣٩٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٨٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٣٩١).

وقال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكرٍ، وعمر»^(١).
قال التابعي الجليل مسروق بن الأجدع رَحِمَهُ اللهُ: «حُبُّ أبي بكرٍ وعمر،
ومعرفة فضلها من السنة»^(٢).

• ثالثاً: عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

هو: أبو عبد الله ذو النورين عثمان بن عفان، من بني أمية بن عبد شمس بن
عبد مناف.

لُقِّبَ بذي النورين؛ لأنه تزوج رقية، وأم كلثوم ابنتي النبي ﷺ، كان غنيا
سخياً، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى، إلى أن قُتل شهيدا
في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة.

من مناقبه: أنه جمع القرآن في مصحف واحد؛ ليجمع الناس عليه، ونُسب
هذا المصحف إليه ف قيل: «المصحف العثماني».

• رابعاً: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، وأحمد (٢٣٢٤٥)، من
حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (٢٣٢٢).

هو: أبو الحسن علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، أول من أسلم من الغلمان، أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه، وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فكان خليفة المسلمين إلى أن قُتِل شهيدا في رمضان سنة أربعين من الهجرة، عن ثلاث وستين سنة.

وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون، وهم أفضل الصحابة على هذا الترتيب.

فخلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ستان وثلاثة أشهر وتسع ليال.

وخلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام.

وخلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوما.

وخلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أربع سنوات وتسعة أشهر.

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

ثم بويع الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يوم مات أبوه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي ربيع الأول سنة واحد وأربعين من الهجرة سلّم الأمر إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبذلك ظهرت آية النبي ﷺ في قوله: «الْخِلاَفَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»^(١)، وقوله في

(١) تقدم تخريجه.

الحسن: «إِنَّ ابْنَ هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(١).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٢٩) وفي مواضع أخرى، من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

